

الرواسب الفكرية والاجتماعية دراسة دعوية عن حقيقتها وأثرها وكيفية التعامل معها

الدكتور زيد بن عبد الكريم الزيد

كلية الدعوة والإعلام

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

إن الحمد لله نحمده ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً . . أما بعد :

فإن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه »^(١) والفطرة التي يولد عليها الإنسان هي الإسلام^(٢) ثم تطرأ عليه بعد ذلك واردات تؤثر على هذه الفطرة النقية ، تبعده عن الإسلام أو تغير في منهجه وطريقة حياته !

والعودة إلى الفطرة تقتضي معرفة الأسباب التي أدت إلى هذا التغير، ثم بعد ذلك معرفة العوائق التي تحول دون العودة لامكان التخلص منها ، لتبقى لنا الفطرة السليمة ناصعة كما كانت .

وكما أن معرفة هذه الواردات - التي حرقت الفكر وغيّرت طريقته - تعين على تنقيتها وإزاحتها يمينا وشمالا عن طريق الدعوة ، فأنها أيضا قبل ذلك قد تكون مدخلا مهما في التواصل بين الداعي والمدعو والانتقال به من المعلوم إلى المجهول ومن المتفق عليه إلى المختلف فيه .^(٣)

وإذا كنا نقول إن للرواسب الفكرية المتجمعة تأثيرا سلبيا في تفاعل المدعو مع ما يطرح عليه من أفكار جديدة فإن لها أيضا تأثيرا لا يستهان به على الداعي نفسه ، ذلك أن ما لديه من رواسب فكرية كثيرا ما يصوغ أولوياته وأسلوبه في الدعوة صياغة مفضولة دون أن يدرك ذلك .

وكلما قلّت الرواسب الفكرية كان هذا أقرب لتأثره وأدعى لاستجابته ، فصغير

السن عادة يتأثر ويقبل المناقشة ويتراجع عما كان يرى أسرع من تراجع كبير السن، وقليل الخلفية الفكرية غير المتعصب أسهل في الاقتناع من أصحاب المذاهب والنحل والفرق الضالة.

ولقد عنيت النصوص الشرعية في القرآن الكريم والسنة النبوية بالرواسب الفكرية لدى كل من الداعي والمدعو، فكان الأنبياء غالباً من بيئة المدعوين أنفسهم فكراً ولغة لإمكان إيجاد جسور التواصل بينهم، وتعليماً للأمة كي لا يفرض الداعي خلفيته الفكرية ولا المدعو تهمل تلك الخلفية لديه فتصبح عقبة تعوق استجابته، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^(١).

وفي عصرنا ومع سهولة الاتصالات ووفرة الخيرات في هذه البلاد وتوافد العديد من الجنسيات من بيئات مختلفة إسلامية وغير إسلامية أوجد فرصة كبيرة للاحتكاك مع هذا المجتمع؛ وهي فرصة للمسلم للدعوة إلى الله سبحانه وتعالى وإبلاغ هذا الدين لتلك الأفواج الكثيرة والأمواج المتلاطمة من غير المسلمين، وهو إبلاغ يتطلب إدراك طبيعة نشأة هؤلاء في بيئات مختلفة، كل منهم له مشربه وعقيدته وخلفيته الفكرية وطريقة تفكيره وكلها أمور يهم الداعية جداً معرفتها لنجاح دعوته.

وفي هذا البحث محاولة لدراسة الرواسب الفكرية التي تنشأ مع الداعي فتؤثر على دعوته، ومع المدعو فتعوق استجابته، ما موقعها؟ ما عوامل تكوينها؟ وما أثرها على الداعية والمدعو؟ وما السبيل الأمثل للتعامل معها؟ وكيف نحول تلك الرواسب الفكرية إلى جسور تواصل تعبر منها الدعوة والداعية إلى الناس مهما اختلفت أفكارهم ومشاربهم التي نشأوا فيها.

هذه القضايا شغلت تفكيري لعدة سنوات كنت أجمع فيها شتات الموضوع وأدون ما يخطر في البال حتى تكون لدي تصور رجوت أن يكون به نفع للمسلمين فصغته في مخطط للبحث على النحو التالي:

مقدمة في أهمية البحث .

المبحث الأول : تعريف الرواسب الفكرية ومكوناتها .

أولاً : تعريف الرواسب الفكرية .

ثانياً : مكونات الرواسب الفكرية .

المبحث الثاني : أثر الرواسب الفكرية .

تمهيد : في مكانة الرواسب الفكرية .

أولاً : أثر الرواسب الفكرية على الداعي .

ثانياً : أثر الرواسب الفكرية على المدعو .

أ - أثرها في رد الحق .

ب - أثرها في سلوك المسلم .

المبحث الثالث : كيفية التعامل مع الرواسب الفكرية .

تمهيد في أهمية التركيز على العقل في التعامل مع الرواسب

الفكرية والبعد عن العاطفة .

أولاً : تجرد الداعية من رواسبه الفكرية .

ثانياً : التعرف على رواسب المدعو الفكرية .

ثالثاً : الاستفادة من رواسب المدعو الفكرية في الدعوة .

رابعاً : بيان حقيقة رواسب المدعو الفكرية .

خامساً : تنقية الفطرة من الرواسب الفكرية .

الخاتمة .

وَأَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ أَكُونَ قَدْ وَفَّقْتَ لِعَرْضِ مَا يَخْدُمُ هَذَا الدِّينَ وَدَعَاتِهِ
وَالْقَائِمِينَ عَلَيْهِ، وَأَنْ يَقْبَلَهُ عَمَلًا صَالِحًا عِنْدَهُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ.

المبحث الأول: تعريف الرواسب الفكرية ومكوناتها

أولاً : تعريف الرواسب الفكرية

نعني بالرواسب الفكرية :

ما ورد على الإنسان وأثر في تكوينه العقلي وطريقة تفكيره وتعامله مع الحياة وتفسيره لها، تتجمع هذه الواردات في ذاكرته من منزله وبيئته ومجتمعه وثقافته لتكون رأياً ذا تأثير في التعامل والقبول والرد دون أن يشعر بذلك في غالب الأحيان.

هذه الرواسب التي تتكون لدى الداعية فتؤثر على سلامة أولوياته ومنهجه وأسلوبه في الدعوة أو تتكون لدى المدعو فتؤثر عليه في إعراضه عن الحق فيمنع عن قبوله كلية أو يجد صعوبة في التخلص من آثار تلك الرواسب في تصحيح السلوك.

ثانياً: مكونات الرواسب الفكرية

حينما نتحدث عن مكونات الرواسب الفكرية لدى الشخص فإننا نعني بذلك كشفها لإمكان عزل المدعو عنها متى كان في بقائها استمرار للتأثير السلبي عليه، ذلك أن الهدم أسرع من البناء، والتخلية مقدمة على التحلية، ويمكن أن نجمل مكونات هذه الرواسب بما يلي:

١ - تربية الوالدين يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصره أو يمجسانه»^(٥).

٢ - البيئة التي يعيش فيها الفرد: فالأعراف والعادات والتقاليد السائدة تتأصل في المجتمع وتؤثر في فئات أفرادهم وتقودهم إلى التسليم بها وعدم مخالفتها، وتلك قضية معروفة منذ القدم عانى منها الأنبياء مع أقوامهم كلما واجهوهم بالجديد المخالف لما ألفوه من تلك العادات والتقاليد قال تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ۚ قُلْ أُولَٰئِكَ حُتُّوا بَآثَرِهِمْ وَمَا

وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آيَاتٍ مِّنْ قَوْلِ الْإِنَّمَا أَرْسَلْتُمُوهُ كَافِرُونَ ﴿١٧﴾ .

يقول ابن قيم الجوزية: «وما أضر على العبد من ملك العادات له؛ وما عارض الكفار الرسل إلا بالعادات المستقرة الموروثة لهم عن الأسلاف الماضين فمن لم يوطن نفسه على مفارقتها والخروج عنها والاستعداد للمطلوب منه فهو مقطوع وعن فلاحه وفوزه ممنوع. ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ (١٧) .» (١٨)

٣ - ثقافة المجتمع وهي أمر زائد على العادات والتقاليد ذلك أن العادات والتقاليد لصيقة بكل المجتمعات، أما الثقافة فشيء يوجد في مجتمع ويختفي في مجتمع آخر، فالحضارة المعاصرة بما تحويه من ثقافة قدست المنهج العقلاني وصبغت الحياة بالأساليب المادية التي لها تأثيرها على طبيعة التصور والحياة بكاملها لدى أولئك الأفراد وقناعتهم. (١٩)

٤ - الأعداء: لا ننسى دور الأعداء في تكوين الرواسب الفكرية التي تؤثر في قبول الأفراد للدعوة إلى الله.

فأعداء الإسلام لا يفتأون يعملون بكل السبل سعياً وراء تشويه هذا الدين في نفوس الناشئة وغيرهم حتى يعرضوا عن الاستماع فضلاً عن القبول، مما يذكرنا بقصة الطفيل بن عمرو الدوسي مع كفار قريش عندما قدم مكة فأكثروا عليه من التحذير من الاستماع لمحمد صلى الله عليه وسلم خشيةً عليه من أن يسحره حتى وضع في أذنيه قطناً فرقاً من أن يصل إلى أذنيه صوت الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى. (٢٠)

تقول المهتدية الإنجليزية: [مافيز ب. جولي] (لا شك أنني كنت متأثرة بما سمعته من فوق المنابر المسيحية طعناً في الإسلام). (٢١)

ويقول المهتدي دافيس من إنجلترا (. . وبينما كان ذلك هو مجال تفكيري [أي تصوره أن الفاشية يكمن فيها الحل لكل المشكلات] إذا بي أرى مجلة الشؤون الإسلامية (Islamic Review) في أحد أكشاك الكتب ولا أدري ماذا حفزني إلى دفع مبلغ شلنين ونصف ثمناً لمجلة تبحث في عقيدة قال عنها المسيحيون والشيوعيون والفاشيون إنها عقيدة تافهة وأنه لا يؤمن بها غير سفاكي الدماء وقطاع الطرق). (٢٢)

ويقول محمد جون ويسترن من إنجلترا (من العسير علينا نحن الغربيين أن نتعرف على الإسلام فمنذ الحروب الصليبية والمسيحية ونحن نرى إما إغفالا متعمدا للذكر الإسلام أو تحريفا متعمدا وتشويها لحقائقه).^(١٣)

المبحث الثاني : أثر الرواسب الفكرية

تمهيد : في مكانة الرواسب الفكرية .

ليس من اليسير على الشخص أن يتخلى عن عادة ألفها طول حياته الماضية وينسلخ منها ويعلن لمجتمعه تركه تلك العادة، هذا في مجتمعاتنا الإسلامية التي نشاهدها ونحياها، وإن كان في ترك هذه العادة صعوبة فإن المشقة والمعاناة تبدو جلية عندما يطالب الإنسان بالتخلي عن معتقده ومعتقد آباءه وموروثاتهم الفكرية بل ومقدساتهم التي نشأوا على احترامها وتقديرها .

إن هذا القول لا يعني دفاعا عن أهل الباطل ولكنه يعني إكبار من يتخذ هذه الخطوة، وتقديرها حق قدرها عندما نجد من أقدم عليها ممن هو حديث العهد بالإسلام بعد أن نشأ حياته السابقة في جاهلية بعيدة عن الإسلام وأهله بما تضمنته تلك الجاهلية من موروثات وعقائد ومسلّمات عند أهلها لا تقبل الجدل، يقول واصف الراعي وكان نصرانيا فأسلم : «ولعل أبرز مواقف الضعف البشري التي يواجهها الإنسان هو مواجهة قرار حاسم يتعلق بما ألف واعتاد وما ورث وما يعتقد فمواجهة الإنسان بما يخطئ موروثاته - سواء الفكرية منها الاجتماعية والسلوكية - فيها كثير من التحدي والاثم لسلامة عقله وعقول آباءه الذين ورثوه ذلك التراث فهو لا يجب أن يفاجأ بأنه عاش في وهم أو خطأ فاحش حتى لحظة إعلان القرار الذي يخطئ موروثاته فيغلب عليه حب الثأر لنفسه ولتراث أسلافه ولسلامة عقله وعقولهم فيهب مدافعا عن موروثاته بمنطق لا يخرج عن كونه جزءاً من تلك الموروثات على علاقتها، وهذا في رأيي هو حال الكثيرين من غير المسلمين عندما يواجهون بحقيقة دين الإسلام فيرفضونه إلا من رحم الله ، ولكي يتخذ الإنسان قراراً عظيماً باعتناق الإسلام

ديناً وذلك يعني التخلي عن مبادئ ومعتقدات ونمط حياة ألفها إلى معتقدات وحياء لم يآلفها هذا يحتاج إلى حكمة وشجاعة». (١٤)

ويقول المهتدي هـ. ف. فيلوز من إنجلترا (لقد ولدت ونشأت مسيحياً في بلاد مسيحية وللتقاليد المسيحية في نفسي جذور متأصلة لا يمكن اقتلاعها والتخلي عنها إلا تحت ضغط دوافع بالغة القوة والإغراء). (١٥)

بالإضافة إلى ما ذكره الأستاذان هنا فإن ما يتوقعه الراغب في الدخول في الإسلام من عدااء شامل من بني قومه يضيف بعداً آخر ومعاناة لها مكانتها تجعل المهتدي يدرك أنه يواجه نفسه في الخروج من تلك العادات والرواسب الموروثة، مع مواجهة أقرب الناس إليه وهو أمر ليس بالميسور، يصف الأستاذ/ إبراهيم خليل حالته ومعاناته بعدما استجاب لنداء الفطرة وأعلن إسلامه بعد أن كان نصرانياً كيف تكتل ضده أرباب البيوتات التجارية الكبيرة وأحجموا عن التعامل معه مما جعله في عزلة عن النشاط التجاري الذي كان مصدر رزقه وكيف فزع القساوسة إليه في المنزل للمناقشة والمواجهة. (١٦) وعزله عن زوجته وأهله يقول: «وبهذه السموم أوغروا قلوب الأهل والأصدقاء بكراهية بلغت حداً مريراً من العداوة وانتزعوا مني زوجتي الأمانة المطمئنة وأحالوا أهلي وعشيرتي إلى خصوم أشداء». (١٧) ولأنهم يعلمون أن (قبول الإسلام واتباع طريق أتباعه المسلمين يعني رفضاً لبعض ما جاء في الديانات السابقة). (١٨) فلم يكن التخلص من هذه الرواسب بالأمر الذي يمكن تجاوزه دون عقبات في النفس أو في المجتمع الذي تربي ونشأ فيه الفرد.

ولقد فقه الإمام مالك - رحمه الله تعالى - النفوس حينما اعترض على المنصور لما أراد إلزام الناس بالموطأ فكان رأيه - رحمه الله تعالى - تقدير ما نشأ عليه الناس من أحاديث وأقوال للصحابة يصعب نقلهم منها ولو إلى أصح منها فقد جاء في ترتيب المدارك للقاضي عياض أن (أبا جعفر المنصور قال للإمام مالك - رحمه الله تعالى - إني عزم أن أكتب كتبك هذه نسخاً [يعني الموطأ] ثم أبعث إلى كل مصر من أمصار المسلمين بنسخة أمرهم بما فيها ولا يتعدوها إلى غيرها من هذا العلم المحدث فإنني رأيت أصل العلم رواية أهل المدينة وعملهم. فقلت: يا أمير المؤمنين لا تفعل فإن الناس قد

سبقت إلى أقاويل وسمعوا أحاديث وروايات وأخذ كل قوم بما سبق إليهم وعملوا به ودالوا له من اختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرهم وإن ردهم عما اعتقدوا شديد فدع الناس وما هم عليه وما اختار أهل كل بلد لأنفسهم).^(١٩)

وإن واقعنا الذي نعيشه - وهو نموذج مصغر جدا - ونحن نعيش البيئة الإسلامية نشعر أن التمسك بما عليه الآباء والأجداد من العادات والتقاليد أحيانا يطغى في نفوسنا ليسابق النصوص الشرعية ويحد الفرد صعوبة في التخلي عن عادة أهله أو قبيلته أو أسرته أو بلدته مع علمه بمخالفتها للدين الإسلامي الذي ينتمي إليه ويتمسك به صباح مساء وإن اقتلاع هذه العادة من نفسه يحتاج إلى جهد جاهدٍ إلا من وفقه الله .

ليس هذا يذكرنا بما يحتاجه من يقتلع معظم العادات والتقاليد والموروثات والرواسب ليعيش في بيئة جديدة تماما، فيها كل شيء جديد، تنقطع صلته غالبا بجميع مجتمعه القديم .

إن القضية فعلاً قضية كبيرة ونقلة جبارة في حياته ولا يقلل منها أن الكثيرين أقدموا عليها وبخاصة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والجيل التالي له، فقد أقدم هؤلاء أيضاً على الشهادة في سبيل الله وهو إقدام له مقامه ولم يقلل منه كثرة الشهداء .

وإننا عندما ندرك ذلك ونحرص على تجليته في النفوس إنما نرمي إلى إيضاح أكثر الرواسب الفكرية في التردد في الاستجابة مما يعطي الداعي إلى الله وعيا بأمر مهم جدا في الدعوة إلى الله وهو أن يقدر الموقف حق تقديره ويعلم ضعف النفس البشرية عندما تطالب بأمر فيه مواجهة لمعظم ما سلف، فلا يتعجل النتائج وفي المقابل كذلك لا ييأس الداعية من الناس بمجرد أن المدعو أعرض وتأبى على الحق أو لكونه نشأ بعيدا عن الإسلام أو لكونه يدين بعقيدة تناوى الإسلام، فالصبر ومواصلة العمل بوعي يحقق نتائج مذهلة، لا يمكن أن يتوقعها متعجل أو قنوط .

أولاً: أثر الرواسب الفكرية على الداعي .

إن لكل مجتمع أولوياته ومسلماته وما يجوز البناء عليه للوصول إلى نتائج مقبولة، وما لا يجوز البناء عليه؛ ثم ما هو مسلم في مجتمع قد يكون مستنكرا في مجتمع آخر أو

العكس فمثلا صفة الكرم له في البيئات العربية عناية فائقة تمتد لتصل تنشئة الصغار عليه، والضيف يكرم ولو اضطر المضيف أن يبيت وأسرته وأولاده طاوين لا عشاء لهم^(٢٠) في حين نجد أن الضيف لا يجد مثل هذه الأخلاق في الكثير من المجتمعات الأخرى ولا يرون له حقا وخاصة في المجتمعات المدنية المعاصرة، وهذا بتأثير البيئة التي عاش فيها الفرد وصبغته بهذه الصبغة وجعلته ينطلق منها في تعامله، وعندما يأتي شخص من بيئة لا ترى للضيف مكانا إلى إحدى المجتمعات العربية لا يكاد يصدق ما يرى من الإكرام ويفسر ذلك بتفسيرات مختلفة لا يمكن أن يكون مجرد الإكرام أحدها، وذلك بسبب خلفيته الفكرية التي جعلته يصدر هذا الحكم.

وللثقافة ومستوى الحضارة التي يعيشها الفرد أثرها أيضا في التعامل وإعطاء الآراء والتصورات فقد حكى أن الشاعر علي بن الجهم قدم من البادية فمدح الخليفة المتوكل بقصيدة قال فيها:

أنت كالكلب في حفاظك للود وكالتيس في قراع الخطوب
فعرف المتوكل أنه شبهه بخير من كان يخالط في البادية فأمر له بدار حسنة على شاطئ دجلة قريب من الجسر فنزل بها وكان يركب إلى سوق بغداد ويرى حركة الناس لمدة ستة أشهر فلما حضر إلى الخليفة بعد هذه الفترة أنشد قصيدته المشهورة التي مطلعها:

عيون المها بين الرصافة والجسر جبين الهوى من حيث أدري ولا أدري^(٢١)

واستقدمت إندونيسيا العالم الاقتصادي الألماني (شاخت) والذي يشار إليه بالبنان في مجال التخطيط الاقتصادي ووضعت تحت تصرفه كل الإمكانيات المتاحة لإصلاح الأوضاع الاقتصادية فيها ولكنه فشل فشلاً ذريعاً في مخططة للنهوض باقتصاد إندونيسيا، ولم يكن فشله متوقعا لأنه التزم أداء عمله بدقة فنية متناهية وتوافرت له وسائل مادية وبشرية كانت كفيلة بنجاح مخططه، لكن ما الذي جعل مشروع (شاخت) يتعثر ثم يفشل؟ يجب مالك بن نبي - رحمه الله تعالى - بأن الفشل في اعتقاده - يرجع إلى أن (شاخت) وضع مخططه لإندونيسيا على هوى معادلاته الشخصية وبخلفيته الاجتماعية كفرد في المجتمع الألماني، في حين أن التجربة

الإندونيسية ستجرى بطبيعة الحال على أساس معادلة الفرد الإندونيسي فتعثرت التجربة نتيجة خطأ صاحبها (شاخت) لأن ذهنه يحمل صورة واحدة تطبق في أي مكان داخل ألمانيا أو خارجها. ^(٢٢)

وليست الدعوة بعيدة عن ذلك، فليست مسلمات الداعية بالضرورة تكون من المسلمات لدى المدعو، ذلك أن الدعوة عملية ذات طرفين ^(٢٣) تبدأ من الداعية إلى المدعو ولا بد من ملاحظة كلا طرفيها فقد يكون تحريم شيء بدهيا عند الداعي في حين أنه عند المدعو من الأمور المألوفة التي اعتاد عليها المجتمع بسبب انحرافه عن الدين، فلا يصح أن ينطلق الداعي منها حينئذ مادامت ليست محل القبول لدى الطرف الآخر.

ففي مسند الإمام أحمد - رحمه الله تعالى - عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: «إن فتى شابا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ائذن لي بالزنا فأقبل القوم عليه فزجروه فقالوا: مه مه: فقال: أدنُ، فدنا منه قريباً قال: فجلس قال: أتحبه لأملك قال: لا والله جعلني الله فداءك فقال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتحبه لابتنتك قال: لا والله يارسول الله جعلني الله فداءك قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم قال: أفتحبه لأختك قال: لا والله جعلني الله فداءك قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال: أفتحبه لعمتك قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لعلماتهم قال: أفتحبه لخالتك قال: لا والله جعلني الله فداءك قال ولا الناس يحبونه لخالاتهم قال: فوضع يده عليه وقال: اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه؛ فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء». ^(٢٤)

لقد أفاد هذا الأسلوب مع الفتى لكونه عاش في بيئة ترى الزنا عيباً يلوث عرض الأسرة بكاملها لكن أن يؤخذ على ظاهرة تماماً، كما جرى لأحد الشباب وهو يجادل به أميريكيا ويقول له في محاولة لاقناعه بحكمة تحريم الزنا أترضاه لأختك؟ فقد كان جواب الأميركي بيا يوافق بيئته لا بيا يوافق بيئة الداعي، لقد قال بكل برود وصدق وتجرد عندما طرح عليه هذا السؤال أترضاه لأختك؟ قال: ولم لا!!!؟؟ فكانت هذه الإجابة كالصاعقة على الشاب المسلم العربي الداعي إلى الله أدرك عندها أنه أخطأ

في البناء على مسلمة لديه لم تكن مسلمة لدى الطرف الآخر. ^(٢٥)

إن ما نريد قوله هنا هو أن يحذر الداعية من التأثير برواسبه الفكرية في أسلوبه الدعوي فيتجاوز أولويات مهمة لدى المدعو، أو يخطئ في البناء على مقدمات لم تكن مسلمة وبالتالي لا تتحقق النتائج المرجوة من جهوده الدعوية.

وحرصاً على عدم الاعتماد على رواسب الداعي الفكرية نجد أن الأنبياء عليهم السلام يكونون في غالب الأحوال من البيئة ذاتها التي بعثوا إليها يقول تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾. ^(٢٦)

ومثل الأنبياء الدعاة يقول تعالى : ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾. ^(٢٧)

قال ابن حجر رحمه الله تعالى : «واستدل لذلك الطبري بأنه لو كان من بني إسرائيل لم يصغ فرعون إلى كلامه ولم يستمع» ^(٢٨). فكونه من آل فرعون أدعى لاستجابتهم له لوجود التجانس بينهم في خصائص السوابق والرواسب الفكرية.

ثانياً: أثر الرواسب الفكرية على المدعو

لعل هذه المسألة التي أتحدث عنها تحتل مكانة مهمة بين عناصر هذا البحث ذلك أن رواسب المدعو الفكرية ذات تأثير مباشر في قبوله أو رفضه للدعوة أو الفكرة، ولأجل ذلك أتناول الموضوع على فرعين :

الفرع الأول : أثر الرواسب الفكرية في رد الحق.

من صفات الداعية الحرص على الهداية وبذل كل ما في وسعه من أجل الاستجابة للدعوة يقول تعالى : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾. ^(٢٩)

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحرص حرصا شديدا على إيمان المدعوين ويحزن على عدم استجابتهم ويسعى في ذلك أعظم السعى ^(٣٠) قال تعالى:

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّكَ بَخِيعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ . ^(٣١)

وقال تعالى: ﴿ لَعَلَّكَ بَخِيعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ . ^(٣٢)

فلم تكن قضية الدعوة بياناً أو إيضاحاً بل ليست القضية قضية إقناع بالحجة والبرهان فحسب قال تعالى: ﴿ قَدْ عَلِمْنَا إِنَّهُ لَيَحِزُّكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكَدُونَكَ وَلَئِنْ كُنَّا إِلَّا لَنَنصِفَنَّ ذُنُوبَهُمْ إِنَّهُم مُّحْضَرُونَ ﴾ (٣٣)

إن الدعوة تحتاج إلى فقه في النفوس ومعرفة بطبائعها ومداخلها مع الرواسب فيها . وهذا المنهج الذي يعتنى بالرواسب الفكرية ويدرك أهميتها ومكانتها يشير إليه القرآن الكريم في كثير من آياته التي تتحدث عن دعوات الأنبياء ، فإبراهيم عليه السلام وهو يدعو أباه إلى التوحيد يركز على ما ترسخ في ذهن أبيه من تقديس للأصنام حال بينه وبين القبول بالتوحيد قال تعالى : ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴾ . (٣١)

وبلقيس ملكة سبأ التي كتبت إليها سليمان عليه السلام يدعوها وقومها إلى الله قال تعالى عنها:

﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾. (٣٥)

يقول الطاهر بين عاشور (وفي ذكر فعل الكون مرتين في (ما كانت تعبد) و (إنها كانت من قوم كافرين) دلالة على تمكنها من عبادة الشمس وكان ذلك التمكّن بسبب الانحدار من سلالة المشركين فالشرك منطبع في نفسها بالوراثة فالكفر قد أحاط بها بتغلغله في نفسها وبنشأتها عليه وبكونها بين قوم كافرين فمن أين يخلص إليها الهدى والإيمان). (٣٦)

ومحمد صلى الله عليه وسلم وهو يدعو عمه أباطالب فيعرض ليس لشيء - برغم قناعته - إلا تمسكا بموروث الآباء والأجداد؛ ففي صحيح البخاري عن المسيّب بن حزن قال: (لما حضرت أباطالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة فقال: أي عم قل لا إله إلا الله كلمة

أحاج لك بها عند الله فقال أبوجهل وعبدالله بن أبي أمية أترغب عن ملة عبدالمطلب؟ فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعيدانه بتلك المقالة حتى قال أبوطالب آخر ما كلمهم : على ملة عبدالمطلب وأبى أن يقول لا إله إلا الله). (٣٧)

ولم يكن التمسك بموروث الآباء خاصا بقوم نبي من الأنبياء بل عانى منه الأنبياء مع أقوامهم قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ قُلْ أَوْ لَوْ جِئْتُمْ بِآهْدَىٰ وَمَا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آيَاتَهُمْ كَفَرُوا إِنَّا بِمَا أَرْسَلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ۝ (٣٨)

يروى صاحب تجربة مع هذا الدين بعد هدايته فيقول : « ظننت في بادئ الأمر أن المسألة هينة، نسيت أو تناسيت عنادي وتعصبي ومماطلتي في الاستسلام إلى دين الحق فبعد أن زالت الغشاوة، وانقضت الغمامة بدا لي الأمر ميسورا لأن الإسلام دين حق واضح لا مرأى فيه، والأدلة على ذلك لا حصر لها وما على غير المسلم إلا أن يطلع على الإسلام فيسارع إلى اعتناقه، هكذا ظننت - لقلّة خبرتي في الدعوة - أن المسألة تتم بمجرد بيان لمحاسن الدين الإسلامي .

ظننت أن المسألة بيان فقط لهذا الحق الواضح الساطع ولكن هيهات، فطريق الدعوة شاق وطويل ويحتاج إلى الصبر وتحمل الأذى لأن سلعة الله غالية. (٣٩)

فلا يصح الاعتماد على البيان فحسب دون إدراك للعوائق وإن من أهم العوائق التي تحول دون الاستجابة تلك الرواسب التي تنشأ وتنمو مع الفرد، وتصبح عند تجاهلها عقبة كؤوداً دون قبول أي شيء يخالف هواه ورغبته ولو كان يعلم أنه الحق، يقول المهتدي اللورد هدي^(٤٠) : «إنني أعتقد أن هناك آلافاً عديدة من الرجال والنساء مسلمون في قلوبهم، ولكن يمنعه إعلانه هذه الحقيقة مراعاتهم للعرف وخوفهم من النقد والاتهام ورغبتهم في تلافي ما يتبع إعلان هذا التحول من مشاكل». (٤١)

هذه الأعداد لم يكن بينها وبين الهداية إلا السعي لتخليصها من التأثير بسوابق الأفكار التي لازالت عالقة لديها ولذلك يروي أحد المهتدين^(٤٢) قصته فيقول : «وعندئذ قررت أن أدرس الأمر بغير تعصب ولا ضغينة ولم يمض بي طويل زمان حتى

أدركت أنه من المستحيل أن يتطرق الشك إلى جدية وصديق دعوته إلى الحق وإلى الله». (٤٣)

ويقول الدكتور عبدالكريم جيرمانوس (٤٤) من المجر أستاذ الدراسات الشرقية «كان عقلي متخوماً، أمّا روحي فقد بقيت ضمأى، وكان علي أن أتجرد من كثير مما جمعت من المعلومات لأعود فأومن بها من خلال تجاربي الشخصية خالصة من الشوائب بصهرها في نار الشوق إلى معرفة الحق كما يعالج الحديد الخام المنصهر بالتبريد المفاجيء فيصبح صلباً مرناً». (٤٥)

وتقول المهتدية مافيز. ب. جولي من إنجلترا «ولم أجد أمامي إلا أن أسلك هذا السبيل طارحة كل العواطف الأخرى التي كانت تشدني شداً إلى الطريق المضاد». (٤٦)

الفرع الثاني : أثر الرواسب الفكرية على سلوك المسلم.

عندما نتحدث عن أثر الرواسب الفكرية على المدعو ونتذكر أثرها في صد الكثير من الناس عن قبول الحق ينبغي أن لا نغفل عن أثر تلك الرواسب على سلوك المسلم نفسه في استئفال ترك بعض السلوك الخاطيء الذي ألفه في عاداته وتقاليده .

وكم نرى في أنماط الحياة لدى المجتمعات الإسلامية من مظاهر اللهو في الأفراح ومن أشكال الحداد في المآسي والأحزان مما حاكته عوامل التوارث القديم أو الاقتباس التلقائي عن طريق التأثير والاحتكاك (٤٧) وفيها مخالقات شرعية تستدعي سرعة المبادرة لإصلاحها لكن تجد عدم الترحاب من أصحابها مع أنهم مسلمون يعتزون بالانتماء لهذا الدين .

وكثيراً ما تنشأ هذه المخالقات نتيجة التمسك بالأعراف والعادات السائدة، والعرف والعادة لها مكانة في الشرع يجب على المسلم أن يعيها فلا يتجاوزها وفي المقابل لا يهملها، والعرف والعادة لا مدخل لهما ابتداء في تحليل شيء أو تحريمه وإنما لهما تحديد أمر شرعي حكم به الشرع ولم يحدده، فالصلاة حكم بها الشرع وحددها ولا مدخل للعرف فيها، والإحسان للوالدين حكم به الشرع فقال: ﴿وبالوالدين إحساناً﴾ (٤٨) لكنه لم يحدده، فتحديده راجع للعرف والعادة فكل ما تعارف المسلمون

واعتادوا أنه إحسان للوالدين فهو مأمور به ، وما عدا هذا الإطار فلا مدخل للعرف والعادة فيه .^(٤٩)

وإننا في واقعنا الذي نعيشه ندرك أن العادة والعرف أخذت أكثر من مكانها الشرعي بل إنها أحيانا تصادم النص الشرعي ومع ذلك لا نزال نشعر أن التمسك بما عليه الآباء والأجداد له مكانة في النفس يصعب التخلي عنه ونحتاج في اقتلعه إلى جهاد ومشقة .

ومع إدراكنا لأهمية التجرد من تلك الرواسب في سلوكنا وتعاملنا فإن تلك الرواسب يجب أن لا تؤثر على فهمنا للنصوص الشرعية فلا نحاكم نصوص القرآن والسنة إلى خلفيات فكرية نشأت في بيئاتنا لم تستمد من المصادر الشرعية ؛ ولا يتم هذا إلا إذا قرأ المسلم القرآن الكريم وحكمه على ما عنده من خلفيات أو فلسفات سابقة وعندها يتمكن القرآن من تكوين شخصية المسلم الحق وصيغته ؛ يقول سيد قطب رحمه الله تعالى (ومنهجنا في استلهم القرآن الكريم ألا نواجه بمقررات سابقة إطلاقا لا مقررات عقلية ولا مقررات شعورية - من رواسب الثقافات التي لم نستفها من القرآن ذاته - نحاكم إليها نصوصه أو نستلهم معاني هذه النصوص وفق تلك المقررات السابقة ، لقد جاء النص القرآني - ابتداء - لينشئ المقررات الصحيحة التي يريد الله أن تقوم عليها تصورات البشر وأن تقوم عليها حياتهم وأقل ما يستحقه هذا التفضل من العلي الكبير وهذه الرعاية من الله ذي الجلال - وهو الغني عن العالمين - أن يتلقوها وقد فرغوا لها قلوبهم وعقولهم من كل غبش دخيل).^(٥٠)

وحيث أن المطلوب أن يفرغ المسلم قلبه من الرواسب الفكرية التي تؤثر على إصلاح سلوكه وتعامله وعلى فهمه للنصوص الشرعية قال تعالى :

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾^(٥١)

المبحث الثالث : كيفية التعامل مع الرواسب الفكرية

تمهيد : في أهمية التركيز على العقل مع الرواسب الفكرية والبعد عن العاطفة .

الرواسب الفكرية ذات صلة قوية بنشأة الشخص وبيئته وأسرته وبالتالي فلها مكانة في العاطفة تشد النفس إليها شداً قوياً .^(٥٢)

أما العقل السليم فعلى النقيض من ذلك فهو يبحث عن الحق ويسعى إليه ، والإسلام دين العقل ، ومتى فكر الإنسان بتجردٍ وتعقلٍ ورويةٍ بعيداً عن تأثير العاطفة تمكن من التراجع عن بعض تصوراتهِ المبنية على الرواسب الفكرية .

لذلك فالداعية مطالب بأن يبتعد عن العاطفة ، فلا يخضع لعاطفته ويتمسك برواسبه الفكرية في تعامله الدعوي مع الآخرين ، فلا يصلح أن يتأثر منهج الداعية إلى الله بعاطفة الميل إلى موروثه الفكري ويفضله على غيره ويسعى إلى نقله دون أن يشعر أن هذا من الرواسب الفكرية التي ينبغي أن يتجرد منها الداعية إلى الله في عمله .

وامتداداً لهذا التأسيس الذي أشرت إليه سابقاً وهو صلة الرواسب الفكرية بالعاطفة التي تشد صاحبها إلى موروثه وتقوي في نفسه التمسك به ، وتجعل الشخص يشعر أن التعرض للرواسب تعرض للشخص نفسه ينبغي هنا للداعية أن يدرك أن العاطفة لا يصلح أن تثار مع المدعو لإزالة رواسبه الفكرية وإنما الطريق لذلك هو العقل .

فالعقل في هذا المجال نصير ، والعاطفة خصم عنيد ، والداعية الحكيم يركز هنا على العقل في التعامل مع الرواسب الفكرية لدى المدعو ، وسيجد أن المناقشة أجدى في تحقيق غايته من تحريك عاطفته والتي لا تزيد المدعو إلا تمسكا برواسبه التي هي في الواقع جزء منه .

يقول تعالى :

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٥٣)

فقد رد الله عليهم بأدلة عقلية واضحة فقال : ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا

إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾^(٥٤)

ويقول واصف الراعي : «لاحظت في نفسي عناداً أو ملاحظة أثناء بحثي في النصرانية، كنت لا أزال مرتبطاً بها ارتباطاً عاطفياً وثيقاً ولم يكن سهلاً تغلب عقل حديث الاقتناع على عاطفتي المشبعة - ولو بمفاهيم خاطئة - بهذه السرعة، وأقول هنا استطراداً إن مثل هذا الموقف يتكرر في الحياة كثيراً وهو موقف اتخاذ القرار الحاسم في أمر عندما يتأرجح الرأي بين الاقتناع العقلي وبين الارتباط العاطفي بما ألفتة النفس من عادات ومفاهيم موروثية فالإلف والعادة وحسن الظن بالأسلاف ووراثته المفاهيم على علاقتها بسذاجة كلها تشكل طبقات من الغشاوات والسحب التي تغطي البصيرة وتحجب العقل وتورد ضحاياها المزالق والمهالك»^(٥٥) ويقول بعد هذا بقليل «وبعد العناد الطويل والمصاداة مع عاطفتي وهواجس نفسي قررت احترام عقلي والأخذ بقناعاته»^(٥٦).

ولابد أن نقول إن هذه المقدمة لا نعني بها التقليل من مكانة العاطفة في الدعوة وإنما نعني بها أن التعامل مع الرواسب الفكرية، ابتداءً من التعرف عليها حتى التخلص منها منهجه العقل وليس العاطفة.

وفي هذا المبحث دراسة لمنهج نقترحه من خلال النصوص والنقول السابقة نبين فيه للداعية إلى الله خطوات مهمة للتعامل مع الرواسب الفكرية سواء ما كان منها لدى الداعية نفسه أو لدى المدعو وذلك وفق النقاط التالية :

أولاً: تجرد الداعية من رواسبه الفكرية عند الدعوة :

لن يخلو فرد من وجود رواسب فكرية لديه يتفاوت تأثيرها عليه، منها ما يتصل بالأولويات ومنها ما يتصل بالمنهج، وعندما ينتقل الداعية إلى الله إلى بيئة المدعو، عليه

أن يدرك أن أول خطوة مهمة في هذا الجانب، هي ترك رواسبه الفكرية التي نشأت في بيئته، فلا تتنقل معه وهو يزاول دعوته في بيئة المدعويين وقد خرج الصحابة رضوان الله عليهم دعاة إلى الله سبحانه وتعالى متجردين من خلفياتهم ورواسبهم الفكرية التي تلقوها في مجتمعاتهم، يقول سيد قطب - رحمه الله تعالى - وهو يتحدث عن عوامل تميز جيل الصحابة رضوان الله تعالى عليهم «هناك عامل ثالث جدير بالانتباه والتسجيل، لقد كان الرجل حين يدخل في الإسلام يخلع على عتبته كل ماضيه في الجاهلية، كان يشعر في اللحظة التي يجيء فيها إلى الإسلام أنه يبدأ عهداً جديداً، منفصلاً كل الانفصال عن حياته التي عاشها في الجاهلية».^(٥٧)

وهكذا في الدعوة، لا بد من أن يدرك الداعي إلى الله أهمية تجرده من سوابق الأفكار في تعامله مع البيئات الأخرى التي يتنقل فيها داعياً إلى الله.

قد ينطلق داعية إلى الله من ثقافته العربية مثلاً ويحاول أن يسقط هذا التصور على منهج دعوته في الغرب أي أنه يحكم من خلال ضوابط وخصوصية نمط حضاري على نمط آخر يختلف عنه اختلافاً جذرياً، وهذا يقود إلى الخطأ في النتائج.^(٥٨)

إننا يجب علينا أن نلاحظ أن الدعوة إلى الله يختلف منهجها باختلاف المدعو لا باختلاف الداعي، فالدعوة الموجهة إلى اليهود غير الموجهة إلى النصارى وكذلك هي تختلف عن دعوة الوثنيين، بصرف النظر عما يكون الداعي هنا.

ولذلك ينبغي أن يتجرد الداعية من كل المؤثرات والخلفيات والسوابق الفكرية التي تقوده إلى اختيار منهج ونمط وفق خلفية نابعة من رواسبه لا من واقع المجتمع والبيئة التي يدعو فيها.

ونحن نعيب على المستشرقين الصادقين منهم حينما يتحدثون عن الإسلام ثم يخطئون عن غير قصد لأنهم انطلقوا من خلفية غربية ونحن أحياناً نقع في الخطأ ذاته عندما ندعو إلى الله سبحانه وتعالى في مجتمعات تختلف عن المجتمعات التي نشأنا فيها دون أن نلاحظ أهمية الفارق في الرواسب والخلفيات.

لذلك فأول خطوة نقترحها هنا هي أن يتجرد الداعية من سوابقه الفكرية^(٩٩) الناشئة من طبيعة المجتمع والتي تختلف من بيئة إلى أخرى.

ثانياً: التعرف على رواسب المدعو الفكرية :

من الأمور المهمة في الدعوة إلى الله معرفة الداعي ببيئة المدعويين وتقاليدهم وعاداتهم^(١٠٠) وهي من البصيرة التي أمر الله سبحانه وتعالى بها قال تعالى : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ .^(١٠١) يقول فضيلة الشيخ أبي بكر الجزائري : (« أدعو إلى الله على بصيرة » أي على علم يقين بمن أدعو إليه وبما أدعو إليه وبالنتائج المترتبة على هذه الدعوة) .^(١٠٢)

ومما يسهل التعرف على بيئة المدعويين أن يكون الداعية من البيئة ذاتها ، وأولى بكل بيئة أبنائها لذلك نرى الأنبياء يبعثون إلى أقوامهم قال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ عَلَيَّكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ .^(١٠٣) وقال تعالى : ﴿ وَأَنْتُمْ عَلَيْهِمْ نَبَأُ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ .^(١٠٤)

﴿ وَأَذْكُرْ أَخَاعًا إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَخْقَافِ ﴾ .^(١٠٥) وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ .^(١٠٦)

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ .^(١٠٧)

وإذا لم يتيسر كون الداعية من البيئة ذاتها فلا بد أن يكون عارفاً بواقع تلك البيئة التي يقدم عليها .

ولأجل أهمية معرفة المدعويين وطبيعة مجتمعاتهم وثقافتهم وخلفياتهم الفكرية نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذاً إلى اليمن أخبره بأن القوم الذين سيصل إليهم من أهل الكتاب ليكون الاستعداد بما لا يلائم ثقافة الأفكار وسوابقها لديهم ،

فمن يقدم على قوم وثنين يختلف عن من يقدم على قوم كتابين ولكل منهما ما يلائمه إنما الخطأ أن يقدم ويزاول الدعوة وهو لا يعلم شيئاً عنهم ، ولذلك كان أول معلومة قدمها الرسول صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضي الله عنه هي قوله : «إنك ستأتي قوماً أهل كتاب» .^(٦٨)

يقول ابن حجر رحمه الله تعالى : «قوله ستأتي قوماً أهل كتاب هي كالتوطئة للوصية لتستجمع همته عليها لكون أهل الكتاب أهل علم في الجملة فلا تكون العناية في مخاطبتهم كمخاطبة الجاهل من عبدة الأوثان» .^(٦٩)

وعدم المعرفة بخلفية المدعويين يعمق الفجوة بين الداعي والمدعو ويقود إلى النتائج الخاطئة ويؤكد ما يسعى إليه الأعداء من عزل الداعية عن المجتمعات ويرسخ في تصور تلك المجتمعات ما يقولونه عن المسلمين ، يقول المهتدي مؤمن عبدالرزاق صلاح من سيلان «كنت في وقت ما أرى الإسلام شيئاً كريهاً بغيضاً ولم يكن لي من المسلمين صديق بل ولم أحاول أن أتصل بهم نظراً لكراهيتي لدينهم» .^(٧٠) من الذي جعل الإسلام عنده كريهاً بغيضاً؟ إنه الأعداء ! وعندما يجهل الداعية هذا الواقع لا يمكن أن يمس الجراح فضلاً عن أن يقدم الدواء الملائم لها .

وعندما يعرف الداعية خلفية المدعو ومستوى ثقافته وطريقة أدائه يمكن أن يخطو الخطوة التالية في هذا المقترح .

ثالثاً : الاستفادة من رواسب المدعو الفكرية في الدعوة إلى الله :

قد تكون المعلومات والسوابق الفكرية التي لدى المدعو مدخلاً مناسباً للدعوة ، فقد تكون نقطة التقاء ينتقل منها إلى ما بعدها مما يريد الداعية الوصول إليه كما ينتقل من المعلوم إلى المجهول ومن المتفق عليه إلى المختلف فيه في الحوار .^(٧١)

وأقرب مثال على ذلك قصة الذي جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستأذنه في الزنا فكان أن جاره الرسول صلى الله عليه وسلم بعدة أسئلة تناسب خلفيته الفكرية وبيئته التي ترفض الرضا بزنا الأخت أو البنت (أتحبه لبيتك . . . أتحبه لأختك^(٧٢)) والشاب يجيب بالنفي ، وذلك من منطلق البيئة العربية التي كانت تأنف

من الزنا حتى قالت هند بنت عتبة رضي الله تعالى عنه : (وهل تزني الحرة؟) ^(٧٣) ولولا هذه الخلفية الفكرية لهذا الشاب لماناسب طرح هذه الأسئلة عليه ولما أدت النتيجة المرجوة من جعل الشاب يقتنع في النهاية بعدم جواز طلبه ، ومن هنا تظهر حكمة الرسول صلى الله عليه وسلم في استخدام خلفية هذا الفتى الفكرية في اقتناعه ، وفشل الداعية الذي خاطب أمريكيا بالأسئلة ذاتها فكانت الإجابة من ذاك الأمريكي على غير المتوقع عندما قال ولم لا؟! ^(٧٤) والفارق بين الفتى العربي والفتى الأمريكي هو اختلاف الرواسب الفكرية فقط .

وفي صلح الحديبية جرت مراسلات بين الرسول صلى الله عليه وسلم وكبار قريش يقول الإمام البخاري - رحمه الله تعالى : «فقال رجل من بني كنانة دعوني آتية فقالوا آتته ، فلما أشرف على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا فلان ^(٧٥) وهو من قوم يعظمون البدن فابتعثوها له فبعثت له واستقبله الناس يلبسون فلما رأى ذلك قال : سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت فلما رجع إلى أصحابه قال : رأيت البدن قد قلدت وأشعرت فما أرى أن يصدوا عن البيت» . ^(٧٦)

فقد استفاد الرسول صلى الله عليه وسلم من معرفته بالرواسب الفكرية لدى الخليل واستغلها بإقناعه بعدالة ما يطالب دون أن يقول كلمة واحدة فقد جاء في السيرة أن الخليل لما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادي بقلائده قد حبس عن محله رجع ولم يصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٧٧) ونقل ابن حجر في الفتح عن مغازي عروة عند الحاكم قال : «فصاح الخليل فقال هلكت قريش ورب الكعبة إن القوم إنما أتو عمارا» . ^(٧٨)

وقال ابن اسحاق : «إن الخليل غضب عند ذلك وقال يامعشر قريش والله ما على هذا حالناكم ولا على هذا عاقدناكم ، أيصد عن بيت الله من جاء معظما له؟ والذي نفس الخليل بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد» . ^(٧٩)

لقد تحقق الهدف نتيجة معرفة الرواسب الفكرية وحسن استغلالها وجعلها مدخلا مناسباً لإقناع الطرف الآخر، فقد جاء الحليس مفاوضات وعاد مناصراً مهتداً متوعدا لمن أرسله .

وهذا ما نود تأكيد أهميته في الدعوة إلى الله ، ذلك أن الرواسب الفكرية لدى المدعو لا يحسن تجاهلها بل ينبغي التعرف عليها ثم الاستفادة منها في الدعوة فإذا تعذرت الاستفادة خطونا بعد ذلك الخطوة الرابعة .

رابعاً: بيان حقيقة رواسب المدعو الفكرية :

بعد أن يستفاد مما يمكن الاستفادة منه من تلك الرواسب الفكرية لدى المدعو، أو يتعذر الاستفادة منها جملة وتصبح عائقاً من عوائق الدعوة حينئذ يركز الداعية إلى الله جهوده على بيان حقيقة هذه الرواسب يقول تعالى عن قصة دعوة إبراهيم عليه السلام لأبيه :

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ۗ ﴾ ^(٨٠) .

وقوم موسى عليه السلام لما اتخذوا العجل قال تعالى :

﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ قَتَلَهُ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ سَأْتِي ۚ ﴾ ^(٨١) .

وقال تعالى عن معبودات الكفار وما هي عليه من العجز والضعف ^(٨٢)

﴿ أَيْشِرُكُمْ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَسْتَرْجِعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صُنِيتُمْ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أَمْثَلُكُمْ فَأَدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ اللَّهُمَّ أَزْجَلُ يَمْسُونَ بِهَا أَمْ لَكُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَكُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَكُمْ أاذُنٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنْظَرُونَ ۖ ﴾ ^(٨٣) .

فنرى في هذه الآيات التركيز على بيان حقيقة هذه المعبودات من دون الله ، وجاء حصين بن عبيد إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم : أوسعوا

للشيخ ، فقال حصين : ما هذا الذي بلغنا عنك أنك تشتم آلهتنا وتذكرهم وقد كان أبوك حصينةً وخيراً ، فقال يا حصين كم تعبد من إله؟ قال سبعةً في الأرض وواحداً في السماء قال فإذا أصابك الضر من تدعو؟ قال الذي في السماء ، قال فإذا هلك المال من تدعو؟ قال الذي في السماء ، قال فيستجيب لك وحده وتشرّكهم معه ، أرضيته في الشكر أم تخاف أن يغلب عليك؟ قال : لا واحدة من هاتين قال وعلم أي لم أكلم مثله ، قال : يا حصين أسلم تسلم قال حصين : إن لي قوماً وعشيرةً فماذا أقول؟ قال : قل اللهم إني أستهديك لأرشد أمرى وزدني علماً ينفعني ، فقاها حصين فلم يقم حتى أسلم فقام إليه عمران فقبل رأسه ويديه ورجليه فلما رأى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم بكى وقال بكيت من صنيع عمران دخل حصين وهو كافر فلم يقم إليه عمران ولم يلتفت ناحيته فلما أسلم قضى حقه فدخلني من ذلك الرقة فلما أراد حصين أن يخرج قال لأصحابه : قوموا فشيّعوه إلى منزله). (٨٤)

وفي بيان حقيقة هذه الرواسب تتساقط مكانتها ويذيل بريقها في عقل صاحبها وبخاصة عند مقارنتها مع غيرها كما في قصة حصين هذه ، يقول الشيخ عبدالرحمن السعدي - رحمه الله تعالى - وهو يتحدث عن طريق القرآن الكريم إلى دعوة الكفار على اختلاف مللهم فذكر من ذلك «ويدعوهم أيضاً بشرح ما في أديانهم الباطلة وما احتوت عليه من القبح ويقارن بينها وبين دين الإسلام ليتبين ويتضح ما يجب إثارة وما يتعين اختياره». (٨٥)

فالمقصود هو بيان حقيقة هذه الرواسب الفكرية العالقة في نفس المدعو والتي تحتل في نفسه مكان التقديس وتحول دون مناقشة أي أمر يمس تلك الرواسب فإذا أمكن الطرق عليها وإضعاف قدسيّتها بشئ السبل فإن هذا خلخلة في عائق مهم من عوائق الدعوة ، وهو خطوة لما بعده في هذا المقترح .

خامساً : تنقية الفطرة من الرواسب :

تصور الأمر على حقيقته ومن ثم القناعة به يتطلب دراسته في معزل عن أحكام سابقة أو خلفيات فكرية مؤثرة وكثير من الأخطاء التي تقع عند اصدار بعض الأحكام

في القضايا الفكرية يأتي نتيجة رواسب سابقة ظهرت على السطح دون أن يشعر بها صاحبها.

يقول الدكتور محسن عبد الحميد «قد ينطلق الباحث من ثقافته الغربية ويحاول أن يسقطها على الإسلام وحضارته ودراسة مفكره أي أنه يحكم من خلال ضوابط وخصوصية نمط حضاري على نمط آخر يختلف عنه اختلافاً جذرياً وهذا على القطع يقود إلى الخطأ في النتائج». ^(٨٧) ويقول مصطفى حلمي «ينبغي بادىء ذي بدء أن ننبه إلى ضرورة تخلصنا من الأحكام السابقة التي تأثرنا بها عند نظرنا إلى الخلافة العثمانية بوجهة النظر الغربية التي كانت ومازالت تحمل لها الكراهية والحقده بسبب الحروب العديدة التي خاضتها معها». ^(٨٨)

وإن من الأمور المقررة أن التخلية قبل التحلية يقول الله سبحانه وتعالى :
﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدْ
اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. ^(٨٩)

فالكفر بالطاغوت وتخليه القلب منه لا بد أن يسبق الايمان بالله سبحانه وتعالى. ^(٩٠)
يقول ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى «قبول المحل لما يوضع فيه مشروط بتفريغه من ضده وهذا كما أنه في الذوات والأعيان فكذلك هو في الاعتقادات والإرادات». ^(٩١)
وإذا كانت تلك الرواسب سبباً في تصور غير سليم ومانعا من قبول الحق فإن من المهم لدى الداعية الاهتمام بتنقية الرواسب سعيًا في الوصول إلى الفطرة السليمة التي متى كانت نقية قبلت الحق بلا تردد.

ولقد اقترحنا عدة خطوات في التعامل مع هذه الرواسب وصلنا فيها إلى بيان حقيقة هذه الرواسب لتضعف مكانتها في نفس صاحبها وهنا نضيف الخطوة الخامسة وهي السعي لتخليص المدعو من هذه الرواسب الفكرية لتسلم له فطرته ويزول عنه الغش الذي حال بينه وبين رؤية الحق كما هو عليه.

يصف لنا واصف الراعي - وهو صاحب تجربة في هذا الميدان - ^(٩٢) المدخل الرئيس

لهداية أولئك الذين تربوا في أحضان غير إسلامية بقوله «وسبيل الإنسان إلى الاطلاع على حقيقة الإسلام والافتناع به سبيل ميسور إذ لا يحتاج إلى فطرة مكتظة بالخبرات بقدر ما يحتاج إلى تنقية هذه الفطرة مما اكتسبه من خبرات لا يدري إن كانت كسبا حقيقياً أو كانت تشويها وتلوثاً لصفاتها»^(١٢)، ثم يبين المهتدي الدكتور عبد الكريم جبر مانوس من المجر كيف كان التجرد من الرواسب والتخلص منها مهماً للوصول إلى الحق «وكان على أن أتجرد من كثير مما جمعت من المعلومات لأعود فأومن بها من خلال تجاربي الشخصية خالصة من الشوائب بصهرها في نار الشوق إلى معرفة الحق». ^(١٣)

ومتى تمكن الداعية إلى الله من الوصول إلى هذه المرحلة فقد خطا خطوات مهمة بل أساسية في الدعوة إلى الله وأصبح حينئذ - كما يقول ابن القيم رحمه الله - المحل قابلاً لما يعرض عليه وأصبح قادراً على التمييز بين الطيب والخبيث والحق والباطل .

خاتمة

الرواسب الفكرية التي تتجمع في عقل الإنسان وتؤثر على حياته وبخاصة ما يتعلق منها بالدعوة داعياً كان الإنسان أو مدعوا كانت مدار بحثنا في هذه الورقات .

هذه الرواسب تتكون من تربية الوالدين والبيئة التي يعيش فيها الفرد وثقافة المجتمع ونشاط الأعداء في تكوين رواسب معادية للدين .

ومع مرور السنين تتراكم هذه الرواسب وتكون جزءاً من صاحبها يجد صعوبة في التجرد منها في سائر تصرفاته وتعامله .

والداعية جزء من هذا المجتمع يتأثر بها حوله وبما ينشأ عليه لكن عليه أن يتجرد من هذه المؤثرات فلا يجعل لها مجالاً في صياغة منهج دعوته وأولوياته .

أما المدعو مسلماً كان أو غير مسلم فالرواسب عائق من عوائق الاستجابة إن لم يع الشخص مكانة هذا العائق، وأثره على نفسه من حيث لا يشعر فغير المسلم يواجه بكم هائل من الرواسب الفكرية تحول بينه وبين مجرد الاستماع والإصغاء للحديث الإسلامي نتيجة اختلاف البيئات وأقوال الأعداء وتشويهمهم .

والمسلم يجد صعوبة في التخلص من بعض العادات والتقاليد التي ورثها من بيئته وفيها مخالفات للشرع .

وحينما يدرك الداعية هذه الرواسب الفكرية فإن أول خطوة هي أن يتجرد هو من رواسبه الفكرية ويتخلى عن العواطف ويركز على الأمور العقلية بعيدا عن إثارة عاطفة المدعو محاولاً التعرف أولاً على الرواسب الفكرية للمدعو، ثم السعي للاستفادة من تلك الرواسب لتكون مدخلاً للدعوة، وبعد ذلك يجتهد الداعية في بيان حقيقة هذه الرواسب إضعافاً لمكانتها وتقليلاً لقدسيته ودعوة لصاحبها للتفكير في جدوى التمسك بها ثم بعد هذه الخطوة يسعى الداعية إلى تخليص المدعو وتنقية فطرته من هذه الرواسب لتصبح فطرة نقية تقبل الحق على هدى وبصيرة .

وحينما نصل إلى هذه النتيجة التي نرجو أن نكون بها قد رسمنا خطوات مضيئة في طريق الداعية فإننا نوصي بملاحظة مايلي :-

١ - أهمية تجرد الداعية في منهجه الدعوي من كل تأثير عدا التأثير الشرعي ، أما التأثير البني فلا بد للداعية أن يستبعده وهو ينتقل من بيئة إلى أخرى في دعوته إلى الله .

٢ - أهمية التعرف على أحوال المدعوين وبيئاتهم وأفكارهم ومستوياتهم الثقافية .

٣ - إعطاء رواسب المدعو الفكرية مكانتها في الدعوة إلى الله إذ القفز عليها يولد نتائج عكسية تضر الداعية والدعوة .

٤ - عدم التعجل في النتائج إدراكاً لصعوبة قرار الاستجابة نتيجة لتراكم تلك الرواسب .

٥ - عدم اليأس من استجابة المدعو ولو كانت الشقة بعيدة بين الداعية والمدعو، فالعمل الدعوي وفق منهج مرسوم كفيل - بإذن الله تعالى - بالوصول إلى نتائج كبيرة .

٦ - أخيراً أذكر بأهمية دراسة أقوال الذين أسلموا والتعرف على آرائهم والاطلاع على سبل إسلامهم وأفضل الطرق لإقناع غيرهم بالإسلام .

٧ - كما أوصي بالاستفادة من الذين دخلوا في الإسلام وذلك بتكوينهم علمياً

وإعانتهم ليكونوا دعاة في بني قومهم إذ هم أبلغ في الخطاب وأعلم بالرواسب
الفكرية وأقدر على الإقناع .
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله تسليما كثيرا .
والله أعلم . . .

هوامش

- ١ - صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري لابن حجر جـ ٣ ص ٢٤٥ رقم ١٣٨٥ .
- ٢ - انظر ابن حجر، فتح الباري جـ ٣ ص ٢٤٨ .
- ٣ - انظر د. علي جريشة، أدب الحوار والمناظرة ص ٨٠ وأصول الحوار ص ٣١ .
- ٤ - سورة إبراهيم الآية رقم (٤) .
- ٥ - سبق تخريجه في المقدمة .
- ٦ - سورة الزخرف الآيات من رقم (٢٢ - ٢٤) .
- ٧ - سورة التوبة الآية رقم (٤٦) .
- ٨ - عبد المنعم العزي؛ تهذيب مدارج السالكين لابن قيم الجوزية ص ١٠٤ .
- ٩ - انظر: لماذا أسلمنا ترجمة مصطفى جبر ص ١٩٨ .
- ١٠ - انظر القصة كاملة في البداية والنهاية لابن كثير ٩٩/٣ .
- ١١ - لماذا أسلمنا، ترجمة مصطفى جبر ص ١٢٥ .
- ١٢ - لماذا أسلمنا، ترجمة مصطفى جبر ص ٢٠٦ .
- ١٣ - المرجع السابق ص ١٤٤ .
- ١٤ - واصف الراعي، كنت نصرانيا ص ١٣/١٢ .
- ١٥ - لماذا أسلمنا ترجمة مصطفى جبر ص ١٨٩ .
- ١٦ - انظر: إبراهيم خليل، لماذا أسلمت ص ٣٥ وإبراهيم خليل كان قسيسا مصرية حمل أعلى الشهادات في الفلسفة واللاهوت وعين قسيسا لكنيسة أسبوط ثم قسيسا بأسوان، أراد اعداد رسالة لنيل درجة الدكتوراه يطعن فيها بالقرآن فكانت سببا لدراسة القرآن الكريم ثم إسلامه، وتحوله إلى داعية إلى الله، انظر مقدمة الكتاب المشار إليه بعاليه .
- ١٧ - المرجع السابق ص ٣٨ .
- ١٨ - قاله المهدي، الدكتور عمر رولف باران من النمسا في كتاب اخترنا الإسلام دينا ترجمة طارق السيد خاطر ص ٢٨ .
- ١٩ - القاضي عياض؛ ترتيب المدارك وتقريب المسالك تحقيق الدكتور أحمد بكير محمود ج ١ ص ١٩٣ .
- ٢٠ - عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا من الأنصار بات به ضيف فلم يكن عنده إلا قوته وقوت

صبيانه فقال لامراته نومي الصبية وأطفئي السراج وقربي للضيف ما عندك فنزلت هذه الآية
لَمْ يَنْزِلُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴿ صحیح مسلم ۱۶۲۴/۳ رقم ۲۰۵۴
فالكرم في العرب معروف وجاء الإسلام بعد ذلك مؤكداً حق الضيف .

۲۱ - انظر محمد أحمد جاد المولى ؛ قصص العرب ج ۳ ص ۲۹۸ وقد قال محقق ديوان علي بن الجهم
الأستاذ/ خليل مردم بك في تعليقه على البيت الأول :- هذا (خبر يظهر عليه الوضع والذي
نراه - إن صحت نسبة البيتين إليه - أنه قالها في أحد مجالس المتوكل يعث ببعض الندماء
والمضحكين) هامش ص ۱۱۷ ديوان علي بن الجهم ، وأيا كان الأمر صحيحة القصة كانت
أو موضوعة فهي كثيراً ما يقع أمثالها والمقصود هو التنبيه إلى تأثير البيئة على الشخص في تعامله
مع الآخرين .

۲۲ - انظر مالك بن نبي ، المسلم في عالم الاقتصاد ص ۹۴/۹۳ .

۲۳ - انظر: د. خورشيد أحمد ، طبيعة الدعوة إلى الله ص ۳۴ بحث مطبوع ضمن بحوث ندوة
اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر ، مكتب التربية العربي لدول الخليج .

۲۴ - الإمام أحمد مسند الإمام أحمد ۲۵۷/۵ وقال أحمد بن عبد الرحمن البنا في بلوغ الأمان من
أسرار الفتح الرباني عن سند هذا الحديث (وسنده عند الإمام أحمد جيد) انظر ۷۱/۱۶ .

۲۵ - هذه قصة حقيقية حدثني بها أحد الزملاء الذين درسوا في أمريكا .

۲۶ - سورة إبراهيم الآية رقم (۴) .

۲۷ - سورة غافر الآية رقم (۲۸) .

۲۸ - ابن حجر فتح الباري ج ۶ ص ۴۲۸ .

۲۹ - سورة التوبة الآية رقم (۱۲۸) .

۳۰ - انظر السعدي ؛ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ج ۳ ص ۱۴۱ ، ۴۵۷ .

۳۱ - سورة الكهف الآية رقم (۶) .

۳۲ - سورة الشعراء الآية رقم (۳) .

۳۳ - سورة الأنعام الآية رقم (۳۳) .

۳۴ - سورة مريم الآيات رقم (۴ - ۴۲) .

۳۵ - بلقيس (بكسر الموحدة وسكون اللام وكسر القاف) تفسير التحرير والتنوير ۲۵۲/۱۹ .

۳۶ - محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ۲۷۴/۱۹ - ۲۷۵ .

۳۷ - صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري لابن حجر ج ۸ ص ۵۰۶ .

۳۸ - سورة الزخرف الآيات رقم (۲۳ و ۲۴) .

۳۹ - واصف الراعي ، كنت نصرانيا ، ص ۱۴۶ - ۱۴۷ .

- ٤٠ - اللورد هدي من أكبر شخصيات الأشراف البريطانيين وكان سياسياً ومؤلفاً، خدم في الجيش وله مؤلفات عديدة أشهرها (رجل من الغرب يعتنق الإسلام) أعلن إسلامه في نوفمبر ١٩١٣ وأصبح اسمه الشيخ رحمة الله الفاروق، لماذا أسلمنا ص ٥٥ .
- ٤١ - لماذا أسلمنا ترجمة مصطفى جبر ص ٥٤ .
- ٤٢ - هو المهتدي السير جلال الدين لودر برنتون من أشراف الانجليز .
- ٤٣ - المرجع السابق ص ٧١ .
- ٤٤ - الدكتور عبدالكريم جبرمانوس مستشرق مجري معروف وعالم طبقت شهرته آفاق العالم زار الهند وهناك اعتنق الإسلام (لماذا أسلمنا ج ٩٣) .
- ٤٥ - لماذا أسلمنا مرجع سابق ص ٨٧ .
- ٤٦ - المرجع السابق ص ١٢٧ .
- ٤٧ - انظر د. محمد سعيد البوطي، فقه السيرة ص ١٠٣ .
- ٤٨ - سورة الاسراء الآية رقم (٢٣) .
- ٤٩ - انظر: عبدالرحمن السعدي، القواعد والأصول الجامعة والفروق والتقايسم البديعة النافعة (المجموعة الكاملة لمؤلفات السعدي قسم الفقه القسم الرابع المجلد الأول ص ٤٢) .
- ٥٠ - سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ص ١٥ .
- ٥١ - سورة الأحزاب الآية رقم (٣٦) .
- ٥٢ - انظر: فهد العسكر؛ الصورة الذهنية ص ٦٧ .
- ٥٣ - سورة المائدة الآية رقم (١٧) .
- ٥٤ - السعدي؛ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ج ١ ص ٤٧١ .
- ٥٥ - واصف الراعي؛ كنت نصرانيا ص ١١١/١١٢ .
- ٥٦ - المرجع السابق ص ١١٦ .
- ٥٧ - سيد قطب؛ معالم في الطريق ص ٢٠/١٩ .
- ٥٨ - انظر د. محسن عبدالحميد، المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري ص ١٤٥ .
- ٥٩ - ينبغي هنا أن نذكر بالمقصود بالسوابق والرواسب الفكرية وأنها لا تشمل العلم الشرعي المستمد من الكتاب والسنة لأننا نقول دائماً ان الرواسب مصدرها العادات والأعراف والتقاليد ونحوه أما ما كان شرعياً فإن الله سبحانه وتعالى يقول ﴿وقل رب زدني علماً﴾ .
- ٦٠ - انظر الشيخ محمد بن صالح العثيمين، دروس وفتاوى في الحرم المكي ص ١٠/١١ .
- ٦١ - سورة يوسف الآية رقم (١٠٨) .

- ٦٢ - أبوبكر الجزائري ، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ٢/ ٤٣٢ .
- ٦٣ - سورة الأعراف الآية رقم (٥٩) .
- ٦٤ - سورة الشعراء الآية رقم (٧٠) .
- ٦٥ - سورة الأحقاف الآية رقم (٢١) .
- ٦٦ - سورة المؤمنون الآية رقم (٣١ و ٣٢) .
- ٦٧ - سورة النحل الآية رقم (١١٣) .
- ٦٨ - صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري لابن حجر جـ ٣ ص ٣٥٧ حديث رقم (١٤٩٦) .
- ٦٩ - ابن حجر ، فتح الباري جـ ٣ ص ٣٥٨ .
- ٧٠ - لماذا أسلمنا ترجمة مصطفى جبر ص ٢١٩ .
- ٧١ - انظر: د. علي جريشه أدب الحوار والمناظرة ص ٨٠ وأصول الحوار ص ٣١ .
- ٧٢ - سبق إيراد الحديث كاملاً في المبحث الثاني فقرة (رواسب الداعي الفكرية) .
- ٧٣ - انظر: محمد أبو شهبة ، السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة ٢/ ٤٥٨ .
- ٧٤ - سبق إيراد القصة كاملة في المبحث الثاني فقرة (رواسب الداعي الفكرية) .
- ٧٥ - سماه ابن حجر في فتح الباري الحليس بن علقمة ٣٤٢/٥ .
- ٧٦ - صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري جـ ٥ ص ٣٢٩ حديث رقم ٢٧٣١ .
- ٧٧ - ابن هشام السيرة النبوية المطبوعة مع الروض الأنف للسهيلى ٤/ ٢٦ .
- ٧٨ - ابن حجر ، فتح الباري جـ ٥ ص ٣٤٢ .
- ٧٩ - ابن هشام السيرة النبوية مرجع سابق ٤/ ٢٦ .
- ٨٠ - سورة مريم الآية رقم (٤٢) .
- ٨١ - سورة طه الآية رقم (٨٨ و ٨٩) .
- ٨٢ - انظر: د. محمد خليل هراس ، دعوة التوحيد ص ٣٩ - ٤٢ .
- ٨٣ - سورة الأعراف الآيات رقم (١٩١ - ١٩٥) .
- ٨٤ - ابن حجر ، الإصابة جـ ٢ ص ٢٠ وقال في موضع آخر عن أصل القصة (روى أحمد والنسائي بإسناد صحيح عن ربيعي عن عمران بن حصين أن حصينا أتى النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يسلم) المرجع نفسه ص ١٩ .
- ٨٥ - السعدي ، القواعد الحسان لتفسير القرآن ص ٣٠ .
- ٨٦ - محسن عبد الحميد ، المذاهبية الإسلامية والتغيير الحضاري ص ١٤٥٠ .
- ٨٧ - مصطفى حلمي ، نظام الخلافة في الفكر الإسلامي ص ٥٣٧ / ٥٣٨ .

- ٨٨ - سورة البقرة الآية رقم (٢٥٦).
- ٨٩ - يقول الشيخ محمد نسيب الرفاعي في هامش مختصر تفسير ابن كثير ج-١ ص ٢٢١ (قدم هنا الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله وفي ذلك إشارة لطيفة إلى وجوب تطهير القلوب أولاً ونزع ما فيها من الإيمان بالطاغوت حتى إذا فرغت وطهرت ملئت بالإيمان بالله وتشربت بذلك).
- ٩٠ - ابن قيم الجوزية ، الفوائد ص ٢٩ .
- ٩١ - فقد كان نصرانيا ثم أسلم وعمل في الدعوة إلى الله .
- ٩٢ - واصف الراعي ، كنت نصرانيا ص ١٣ / ١٤ .
- ٩٣ - لماذا أسلمنا ترجمة مصطفى جبر ص ٨٧ .

قائمة المراجع

- ١ - اخترنا الإسلام دينا (انطباعات المتحولين إلى الإسلام) ترجمة طارق السيد خاطر دار المختار الإسلامي القاهرة ١٩٩٢ م.
- ٢ - أدب الحوار والمناظرة؛ د. علي جريشة دار الوفاء القاهرة الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ.
- ٣ - الإصابة في تمييز الصحابة؛ الإمام أحمد بن حجر العسقلاني دار الكتب العلمية بيروت.
- ٤ - أصول الحوار؛ وحدة الدراسات والبحوث في الندوة العالمية للشباب الإسلامي؛ الناشر الندوة العالمية للشباب الإسلامي الرياض الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ.
- ٥ - أسرار التفاسير لكلام علي الكبير، أبوبكر جابر الجزائر الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ.
- ٦ - البداية والنهاية؛ الحافظ ابن كثير مكتبة المعارف بيروت الطبعة الرابعة ١٤٠٢ هـ.
- ٧ - بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني؛ أحمد بن عبدالرحمن البنا دار الشهاب القاهرة.
- ٨ - ترتيب المدارك وتقريب المسالك؛ القاضي عياض بن موسى اليحصبي تحقيق الدكتور أحمد بكير محمود دار مكتبة الحياة بيروت ١٣٨٧ هـ.
- ٩ - تفسير التحرير والتنوير الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور الدار التونسية للنشر ١٩٨٤ م.
- ١٠ - تهذيب مدارج السالكين لابن قيم الجوزية؛ تهذيب عبدالمنعم بن صالح العلي العزي وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف في الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى.
- ١١ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان؛ الشيخ عبدالرحمن السعدي دار المدني جدة ١٤٠٨ هـ.
- ١٢ - تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير؛ محمد بن نسيب الرفاعي مكتبة المعارف الرياض الطبعة الخامسة ١٤٠٨ هـ.
- ١٣ - خصائص التصور الإسلامي ومقوماته؛ سيد قطب دار الشروق القاهرة الطبعة الثامنة ١٤٠٣ هـ.
- ١٤ - دروس وفتاوى في الحرم المكي؛ الشيخ محمد بن صالح العثيمين - إعداد بهاء الدين بن عبدالمنعم آل دحروج مكتبة أولي النهي الرياض الطبعة الثانية ١٤١١ هـ.
- ١٥ - دعوة التوحيد، محمد خليل هراس مكتبة الصحابة طنطا.
- ١٦ - ديوان علي بن الجهم؛ تحقيق خليل مردم بك المجمع العلمي العربي بدمشق ١٣٦٩ هـ.
- ١٧ - السيرة النبوية لابن هشام المطبوعة مع الروض الأنف للسهيلى دار الفكر بيروت ١٤٠٩ هـ.

- ١٨ - السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة د. محمد محمد أبوشهبة دار القلم دمشق الطبعة الثانية ١٤١٢هـ.
- ١٩ - صحيح البخاري للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري (المطبوع مع فتح الباري لابن حجر العسقلاني) نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد الرياض.
- ٢٠ - صحيح الإمام مسلم؛ الإمام مسلم بن الحجاج القشيري تحقيق وتصحيح محمد فؤاد عبدالباقي دار احياء الكتب العربية القاهرة.
- ٢١ - الصورة الذهنية، فهد بن عبدالعزيز العسكر دار طويق الرياض الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
- ٢٢ - طبيعة الدعوة إلى الله؛ الدكتور خورشيد أحمد (بحث مقدم لندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في البحرين عام ١٤٠٥هـ مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٤٠٧هـ).
- ٢٣ - فتح الباري شرح صحيح البخاري، الإمام الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق الشيخ عبدالعزيز بن باز، نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.
- ٢٤ - فقه السيرة؛ محمد سعيد البوطي دار الفكر الطبعة الثامنة ١٤٠٠هـ.
- ٢٥ - الفوائد؛ ابن القيم الجوزية مكتبة الرياض الحديثة الرياض.
- ٢٦ - قصص العرب؛ تأليف محمد أحمد جاد المولى وزملاء دار إحياء التراث العربي الطبعة الرابعة ١٣٨٢هـ.
- ٢٧ - القواعد الحسان لتفسير القرآن؛ الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي مكتبة المعارف الرياض ١٤٠٢هـ.
- ٢٨ - القواعد والأصول الجامعة والفروق والتقايسم البديعة النافعة؛ الشيخ عبدالرحمن السعدي (ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبدالرحمن السعدي القسم الرابع المجلد الأول) مركز صالح بن صالح الثقافي عنيزة ١٤١١هـ.
- ٢٩ - كنت نصرانيا، واصف الراعي دار الراية الرياض الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
- ٣٠ - لماذا أسلمت؛ الأستاذ إبراهيم خليل أحمد دار القلم دبي الطبعة الثانية ١٤١٠هـ.
- ٣١ - لماذا أسلمنا (مجموعة مقالات لنخبة من رجال الفكر في مختلف الأقطار عن سبب اعتناهم الإسلام) ترجمة مصطفى جبر نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد الرياض ١٤٠٤هـ.
- ٣٢ - المذهبية الإسلامية والتغير الحضاري؛ محسن عبدالحميد؛ مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.

- ٣٣ - المسلم في عالم الاقتصاد؛ مالك بن نبي ، دار الفكر دون تاريخ نشر.
- ٣٤ - مسند الإمام أحمد؛ الإمام الرباني أحمد بن حنبل دار صادر بيروت .
- ٣٥ - معالم في الطريق؛ سيد قطب دار الشروق القاهرة الطبعة العاشرة ١٤٠٣هـ.
- ٣٦ - نظام الخلافة في الفكر الإسلامي؛ مصطفى حلمي دار الأنصار القاهرة.